قراءة في وثيقة

إعداد: أ. عبد العزيز سليمان العلي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فلقد قضى الملك عبد العزيز، «يرحمه الله» أكثر من نصف قرن مقاتلاً في شتى الميادين وتألب عليه الأعداء حتى كلل الله تعالى مساعيه بالنجاح والتوفيق فامتد حكمه من الخليج العربي الى البحر الأحمر ليقيم دولة الإيمان. . لا يعتمد إلا على الله فكان أن ظهرت إلى الوجود (المملكة العربية السعودية) امتداداً للدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وساعده على ذلك الأمير محمد بن سعود، يرحمهما الله تعالى.

وكان الملك عبد العزيز حريصًا على تطبيق شريعة الله، وحماية الدين والدفاع عنه والانتصار له.

وبين أيدينا هذه الوثيقة الصادرة من الإمام عبد الرحمن بن فيصل، وابنه الإمام عبد العزيز، إلى المسلمين والمؤرخة بتاريخ الثالث من ذي القعدة عام ١٣٣٤هـ، ومختومة بختم الملك عبد العزيز، ومصدرة بالبسملة وتقع في صفحة وربع تقريبًا من الحجم المتوسط وخطها واضح ومقروء، ويتبين من قراءة هذه الرسالة اهتمام الإمامين بأربعة أمور هي: الاهتمام بأمر الدين، الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمر الثالث الاهتمام بأمر الصلاة والحرص عليها. وأخيرًا التحذير من الربا والتعامل به.

فالأمر الأول: الاهتمام بأمر الدين وإعلاء كلمته وقد وضعها الملك عبدالعزيز، يرحمه الله في المقام الأول من اهتمامه، فهو يعتز بنفسه وسيفه ورجاله في خدمة الدين والدفاع عنه والانتصار له ويرى في هذه الرسالة الشريفة هدفًا لا يحيد عنه قط. . فهو يؤمن ايمانًا جازمًا بهذه الرسالة وأن نجاحه وتوفيقه وانتصاراته إنما هي منة من الله تعالى يقابلها بالمزيد من الشكر والتفاني في خدمة دين الله. . وأنه لاصلاح للعباد في جميع أمورهم إلا بمعرفة هذا الدين ومحبته والعمل به وبذل الجهد في ذلك علماً وعملاً.

ويؤكد الملك عبد العزيز، «يرحمه الله» ذلك في مناسبات عدة. . فمثلاً في الخطاب الذي ألقاه في حفل الاستقبال الذي أقامه في مبنى وكالة المالية في الطائف في ١٨/ محرم ١٣٥١ هـ، يؤكد هذه الحقيقة بقوله «أما نحن فلا عز لنا إلا بالإسلام ولا سلاح لنا إلا بالتمسك به وإذا حافظنا عليه حافظنا على عزنا وسلاحنا وإذا أضعناه ضيعنا أنفسنا وبؤنا بغضب من الله، وأن الذي أريده وأطلبه منكم هو ما ذكرته لكم من التمسك بدين الله، وهذه طريقتي التي أسير عليها والتي لا يمكن أن أحيد عنها مهما تكلفت وإني أحب أن أردد عليكم هذا، لاعتقادي أنه كالمطر إذا تكرر نزوله على الأرض أنبتت وأثمر نباتها».

ولا غرابة في ذلك، فإن هذه الدولة قامت منذ بدايتها على العقيدة السلفية التي يدعو إليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله. . وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل خالصة من كل شائبة منزهة من كل بدعة.

الأمر الثاني: الذي عني به الملك عبد العزيز «يرحمه الله» هو الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر ويتضح ذلك من قوله في هذه الرسالة «وعلينا وعليكم معاشر المسلمين أن نقوم على من قدرنا على القيام عليه ببذل الجهد والنصيحة للمسلمين بتذكيرهم ما أنعم الله عليهم به من الدين والقيام على من ترك حقوق الإسلام وضيعها ولم يبال بحق الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه لاصلاح للعباد في معاشهم ومعادهم إلا بالقيام بذلك وقد وقع الخلل العظيم بسبب الغفلة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

ومعروف أن أعمال الاحتساب كان يزاولها أهل نجد منذ زمن طويل . . فقد مارس الشيخ محمد بن عبد الوهاب، «يرحمه الله» أعمال الحسبة ــ بإنكار المنكر بقلبه ثم بلسانه ثم انتقل إلى المرتبة الأولى وهي الإنكار باليد واستمر الأمر على ذلك في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد وابنه سعود، فمثلاً يذكر ابن بشر بأن الإمام سعود قام في عام ١٢٢٣ هـ، بأداء فريضة الحج للمرة الخامسة وأنه قد انتشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة فلا يشرب التنباك في أسواقها وأمر بأن يجعل في أسواقها من يأمرهم بالصلاة إذا دخل وقتها .

وكذلك الأمر بالنسبة للإمام تركي بن عبد الله . . فقد كان آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر وفي عهد ابنه فيصل شهدت أعمال الحسبة اهتمامًا واضحًا وعناية كبيرة ويلحظ ذلك من خلال الوصايا والتعليمات والتي كانت تعد بمثابة تعاميم يلتزم بتنفيذها المسؤولون . وفي الفترة من عام ١٢٨٢هـ حتى عام ١٣١٩هـ، كان الاحتساب فيها يقع على كاهل المتطوعين من العلماء والقضاة والدعاة نظرًا لعدم استقرار الأوضاع السياسية .

وبعد استرداد الرياض عام ١٣١٩ هـ، واستقرار الأوضاع للملك عبد العزيز، «يرحمه الله» أمر الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ، بأن يمارس أعمال الحسبة وينفذها دون تهاون ويباشر أعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نطاق أوسع وكان قبل ذلك يقوم الشيخ بهذه المهمة تطوعًا. وبعد وفاة الشيخ عبد العزيز كلف الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، بأعمال الاحتساب عام ١٣٤٥ هـ، وأصبح رئيسًا لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منطقة نجد ثم توسعت دائرة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الرياض وأصبحت رئاسة عام ١٣٧٢ هـ. . ثم تم دمج رئاسة الحجاز ونجد في رئاسة واحدة عام ١٣٩٦هـ باسم الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويناط بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفظ الآداب العامة ومنع المجاهرة بالمعاصي والبدع والخرافات والإلحاد وحث الناس على أداء الصلاة، وفي عام ١٣٧٢ هـ، أعطيت الهيئة مطلق الصلاحية في إلزام الناس بالواجبات الشرعية. . وقد أدرك الملك عبد العزيز، رحمه الله ذلك بفطنته وذكائه ولذلك سارع في بداية عهده بالاهتمام بأعمال الحسبة؛ لأنها هي صمام الأمان لهذا المجتمع.

الأمر الثالث: الذي كان من اهتمامات الملك عبدالعزيز «يرحمه الله» أمر الصلاة وحث الناس على أدائها جماعة في المساجد ويتضح ذلك بقوله «وأعظم الخلل وقع ممن ينتسب إلى الإسلام في أعظم الأركان بعد الشهادتين وهي الصلاة

وكثر الاستخفاف بها وهي عمود الإسلام التي إذا سقط عمود الفسطاط لم تنتفع بعده الأطناب . . . الخ» .

وكان الملك يؤدي الصلوات الخمس في جماعة ولم يعرف أنه تخلف عنها في وقت من أوقاتها إلا لعذر مشروع ، وقد حرص في الوقت نفسه على تربية أبنائه وجميع أفراد شعبه على الصلاة والتقوى والترفع عما يغضب الله وألزمهم تأدية صلواتهم بالجماعة ولذلك حرص جلالته على إنشاء المساجد و إعطاء الهيئات تعليمات لحث الناس على أداء الصلاة جماعة في المساجد .

الأمر الأخير: الذي بينه الملك عبدالعزيز «يرحمه الله» في هذه الوثيقة هو التحذير من الربا والتعامل فيه وذلك بقوله : «وكذلك الربا الذي فشا فيما بينهم وتلاعب الشيطان بهم . . . الخ» .

ولا شك أن أمر الربا عظيم وآذن الله المتعاملين به بحرب من الله ورسوله في الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ .

ولذلك فقد كان الملك عبد العزيز «يرحمه الله» يهتم بمعاملات الناس في البيع والشراء وخلوها من أعمال الربا وقد ألزم القضاة والمحتسبين في كل بلد بالبحث عن معاملات الناس وعقودهم ومعاقبة من يخالف المعاملات الشرعية في البيع والشراء .

فاللهم أهدنا ولا تفتنا وثبتنا على الحق وأعذنا من شرور أنفسنا ، وبالله التوفيق .

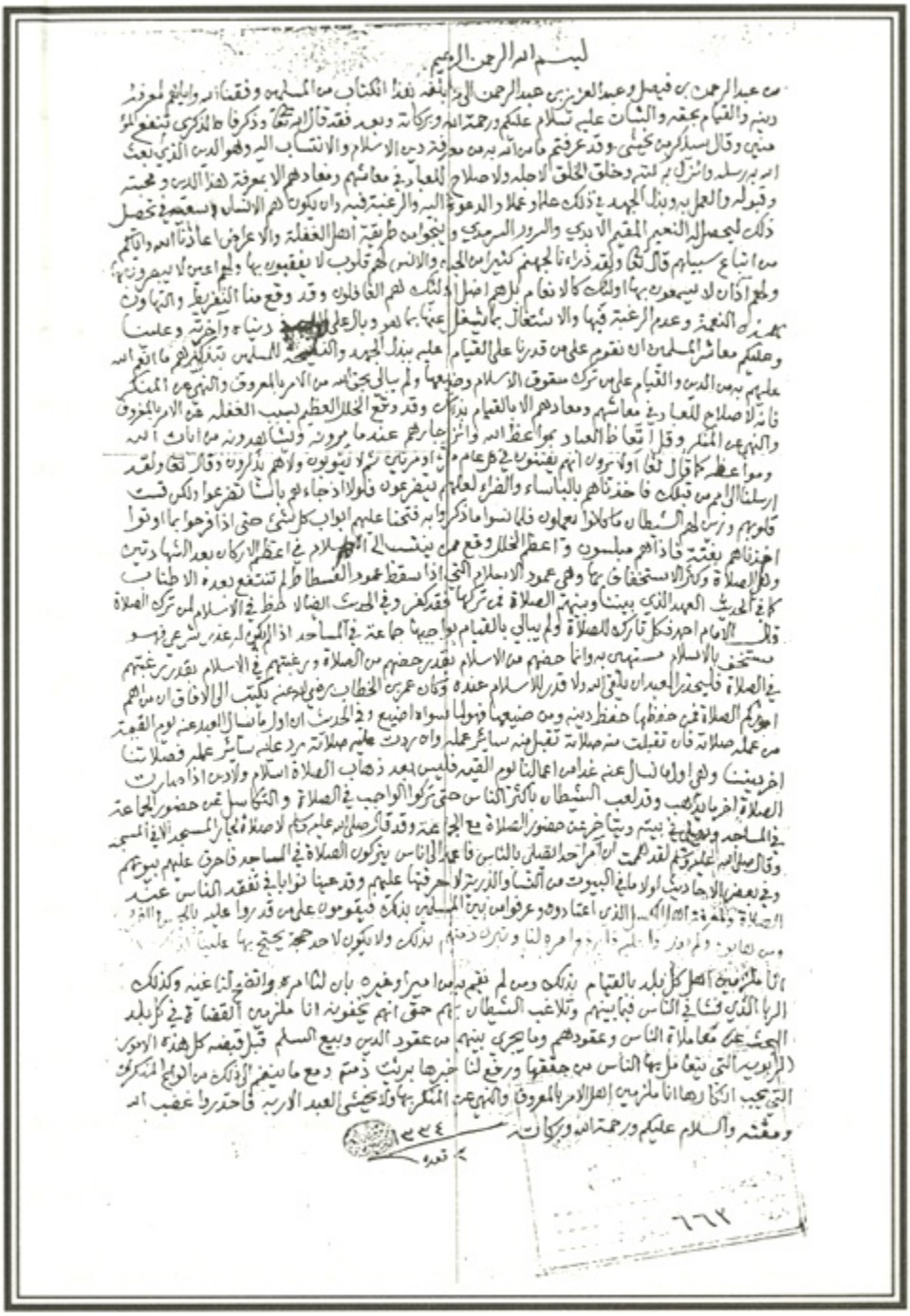

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن فيصل وعبد العزيز بن عبد الرحمن الى من يبلغه هذا الكتاب من المسلمين وفقنا الله واياكم لموفور دينه والقيام بحقه والثبات عليه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد قال الله تعالى وذكرهم بالذكرى تنفع المؤمنين وقال مسلم من يحيى وقد عرفتم ما منّ الله به من عظيم فضله في دين الاسلام والانتساب اليه وهو الدين الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه وخلق الخلق لاجله ولا صلاح للعباد في معاشهم ومعادهم الا بمعرفة هذا الدين ومحبته وقبوله والعمل به وبذل الجهد في ذلك علما وعملا والدعوة اليه والرغبة فيه وان يكونوا هم الانسان يسعى في تحصيل ذلك ليحصل له النعيم المقيم الابدي والسرور السرمدي وبالجملة طريقة اهل الغفلة والاعراض عما خلقوا لاجله من اتباع سبيلهم قال تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون وقد وقع منا التفريط والتهاون بهذا الشأن وعدم الرغبة فيها والاستغال بما يشغل عنها بما هو بالعكس من ذلك دنيا وآخرة وعلينا وعليكم معاشر المسلمين ان نقوم على من قدرنا على القيام عليه ببذل الجهد والنصيحة للمسلمين بتذكيرهم ما اوجب الله عليهم به من الدين والقيام على من ترك منهم حقوق الاسلام وضيعها ولم يبالي بجنايته من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه لا صلاح للعباد في معاشهم ومعادهم الا بالقيام بذلك وقد وقع الخلل العظيم بسبب الغفلة عن هذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد اتفق العباد بحمد الله واثنى عليهم ربهم بما كانوا يعرفون من ذلك ويأمرون به ويحثون عليه ويرغبون فيه وذم الله من تركه بما ذكره عنهم في مواضع من كتابه العزيز كما قال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وقال تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واعظم الخلل وقع ممن ينتسب الى الاسلام في اعظم الاركان بعد الشهادتين وهي الصلاة وكثر الاستخفاف بها وهي عمود الاسلام التي اذا سقط عمود الفسطاط فلم تنتفع بعده الاطناب كما في الحديث العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر وفي الحديث الصحيح الصلاة حفظ في الاسلام فمن تركها فقد هدم الاسلام واجمع اهل العلم ان تارك الصلاة عمدا اذا لم يكن لعذر شرعي فهو مستخف بالاسلام مستهين به وانما حضهم على الاسلام بقدر حضهم من الصلاة ورغبتهم في الاسلام بقدر رغبتهم في الصلاة فليحذر العبد ان يلقى الله ولا قدر للاسلام عنده وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب الى الآفاق ان اهم امركم الصلاة فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع وفي الحديث ان اول ما يسأل العبد عنه يوم القيمة من عمله صلاته فان تقبلت منه صلاته تقبل منه سائر عمله وان ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله فصلاتنا اخر ديننا ولو اوشك ان نسأل عنه غدا من اهمالنا يوم القيمة فليس بعد ذهاب الصلاة اسلام ولا دين اذا مارت الصلاة اخر ما يذهب وقد لعب الشيطان بأكثر الناس حتى تركوا الواجب في الصلاة والتكاسل عن حضور الجماعة في المساجد وفي بيته وبيت اخر من حضور الصلاة مع الجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم لصلاة في جماعة في المسجد الذي اصلي فيه تعدل خمسا وعشرين صلاة فاذا صلاها في بيته او بيت اخر من حضور الصلاة مع الجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان آمر احدا فيصلي بالناس فاعمد الى الناس فاحرق عليهم بيوتهم وفي الصلاة في المساجد فاخبر عليهم بيوتهم وفي بعض الاحاديث اولا ما في البيوت من النساء والذرية لاحرقتها عليهم وقد عهدنا نوابا في تفقد الناس عند الصلاة وملة [illegible] الذي اعتاد دوره وعرفوا بين المسلمين بذلك فيقومون على من قدروا عليه بالتعزير والتوبيخ ومن لم يجب دعوة الله ورسوله ولم يأمر اهله وذويه بالصلاة لم يترك دعوته بذلك ولا يكون لاحد حجة يحتج بها علينا [illegible]

انا ملزمين اهل كل بلد بالقيام بذلك ومن لم نقم به من امير او غيره بأن لنا امره والتقدم الينا عنه وكذلك الرباء الذين في الناس فيما بينهم وتلاعب الشيطان بهم حتى انهم يحلفون انا ملزمين القضاة في كل بلد البحث عن معاملات الناس وعقودهم وما يجري بينهم من عقود الدين وبيع السلم قبل قبضه كل هذه الامور الربوية التي نبيع ملأ بها الناس من حقها ورفع لنا خبرها بريئة ذممنا ومع ما نبغي ان ذلك من ادلج المنكرات التي يجب انكارها انا ملزمين اهل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بها ولا يخشى العبد الا ربه فاحذروا غضب الله ومقته والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٦٦٢

صورة من الوثيقة الصادرة من الإمام عبد الرحمن بن فيصل وابنه الإمام عبد العزيز إلى المسلمين في عام ١٣٣٤هـ.

المراجع

١ ـ ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، مطابع دار اهلال الرياض، ط ٤، ١٤٠٢ هـ.

٢ ـ البقمي، طامي بن هديف، التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية من عام ١٣٥١، إلى ١٤٠٨ هـ (رسالة دكتوراة غير منشورة) ١٤١٣ هـ. (تحت الطبع).

٣ ـ حمزة، فؤاد، البلاد العربية السعودية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط ٢ ١٣٨٨ هـ.

٤ ـ سعيد، أمين، تاريخ الدولة السعودية، مطابع دار اهلال، الرياض.

٥ ـ العتيبي، إبراهيم بن عويض، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤١٤ هـ.

٦ ـ عطار، أحمد عبد الغفور، صقر الجزيرة، مكة المكرمة، ١٣٩٢ هـ.

٧ ـ الغلامي، عبد المنعم، الملك الراشد، دار اللواء، الرياض ط ٢، ١٤٠٠ هـ.

٨ ـ القابسي، محي الدين، المصحف والسيف، دار النصر للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٣.

٩ ـ المارك، فهد، من شيم الملك عبد العزيز، ط ٢، ١٤٠٠ هـ.